الباب الثالث

مسرحيات توفيق الحكيم

الفصل الأوّل: المسرحيات الذهنية

الفصل الثاني: المسرحيات الإجتماعية

الفصل الثالث: مسرح اللامعقول

الفصل الرابع: خصائص مسرح توفيق الحكيم

الباب الثالث

مسرحيات توفيق الحكيم

لقد ذكرنا في الفصل الماضي أنّ توفيق الحكيم ترك لنا الكثير من الآثار الأدبية المتنوّعة خلال حياته و أدّي خدماتٍ جليلةً في فروع الأدب المختلفة مثل المسرحية و الرواية و الأقصوصة و النقد و المقالة و غيرها ؛ فعدد تأليفه تزيد عن مائة و معظمُها مسرحيات تضمنت أكثر من ثمانين مسرحية طويلة و قصيرة . فنحن الآن نذكر بالتالية جدولاً يكشف جميع مسرحيات الحكيم مع تاريخ كتابتها و نشرها ترتيباً زمنيّاً :

المسرحيات	كتبتْ	نشرتْ	مثلتْ
١- الضيف الثقيل	١٩١٨-١٩١٩	....	....

٢- المرأة الجديدة	١٩٢٣	١٩٥٢	١٩٢٦
٣- العريس	١٩٢٤	....	١٩٢٤
٤- خاتم سليمان	١٩٢٤	....	١٩٢٤
٥- الصاحبة	١٩٢٤	....	١٩٢٤
٦- علي بابا	١٩٢٥	١٩٦٩*	١٩٢٦
٧- أمام شباك التذاكر	١٩٢٦	١٩٣٧	....
٨- أهل الكهف	١٩٢٨	١٩٣٣	١٩٣٥، ٦٤، ٦٠
٩- الخروج من الجنة	١٩٢٩	١٩٣٣	....
١٠- سرّ المنتحرة	١٩٢٩	١٩٣٧	١٩٣٧
١١- حياة تحطمت	١٩٣٠	١٩٣٧	....

١٢- الزمار	١٩٣٠	١٩٣٤	....
١٣- شهرزاد	١٩٣٠	١٩٣٤	١٩٦٦
١٤- رصاصة في القلب	١٩٣١	١٩٣٧	....
١٥- محمد	١٩٣٤، ٣٥	١٩٣٦	....
١٦- جنسنا اللطيف	١٩٣٥	....	١٩٣٥
١٧- نهر الجنون	١٩٣٥	....	....
١٨- حديث صحفي	١٩٣٨	١٩٥٢	١٩٣٨
١٩- أشعب	....	١٩٣٨	....
٢٠- عهد الشيطان	١٩٣٨	....	....
٢١- شجرة الحكم	١٩٣٨	....	....

٢٢- عدو ابليس ....

٢٣- براكسا .... ١٩٣٩ ....

٢٤- الصفقة ١٩٥٦ ....

٢٥- صلاة الملائكة ١٩٤١ ١٩٤١ ....

٢٦- بجماليون ١٩٤٢ ١٩٤٢ ١٩٦٣

٢٧- سليمان الحكيم .... ١٩٤٣ ....

٢٨- جمازي قال لي ١٩٤٥ ١٩٤٥ ....

٢٩- لا تبحثي عن الحقيقة ١٩٤٦ ١٩٥٦ ....

٣٠- الملك أوديب ١٩٤٥، ٤٩، ١٩٤٩ ....

مسرح المجتمع(٢١ مسرحية) ١٩٤٥-١٩٥٠ ١٩٥٠ ...

٣١- بين يوم و ليلة ١٩٤٦

٣٢- بيت النمل ١٩٤٨

٣٣- عرف كيف يموت

٣٤- أعمال حرة

٣٥- ميلاد بطل

٣٦- النائبة المحترمة

٣٧- الجياع

٣٨- أريد هذا الرجل

٣٩- أريد أن أقتل

٤٠- مفتاح النجاح

٤١- الرجل الذي صمد

٤٢- عمارة المعلّم كندوز

٤٣- أصحاب السعادة الزوجية

٤٤- العش الهادئ

٤٥- الحب العذري

٤٦- المخرج

٤٧- إلى اللقاء ١٩٤٨ .... ١٩٤٩

٤٨- الكنز

٤٩- ساحرة

٥٠- لو عرف الشباب١٩٤٨ .... ١٩٥٨، ١٩٥٩

٥١- أغنية الموت ١٩٥٠ .... ١٩٥٥

٥٢- الصندوق ١٩٤٩ .... ١٩٥٢

٥٣-دقت الساعة ١٩٥٠ ١٩٥٦

٥٤- لكل مجتهد نصيب ١٩٥١ ١٩٥٦ ....

٥٥- بين الحرب و السلام ١٩٥١ ١٩٥٦ ....

٥٦- الشيطان في خطر ١٩٥١

٥٧- نحو حياة أفضل ١٩٥٥ ١٩٥٦ ....

٥٨- الأيدي الناعمة ١٩٥١ ١٩٥٤ ١٩٥٧

٥٩- صاحبة الجلالة ١٩٥٥ ١٩٥٦ ....

٦٠- إزيس ١٩٥٥ ١٩٥٦

٦١- التعادلية ١٩٥٦ ١٩٥٧

٦٢- لعبة الموت ١٩٥٧ ١٩٥٧، ٦٤' ....

٦٣- أشواك السلام .... ١٩٥٧ ....

٦٤- رحلة إلي الغد .... ١٩٥٧ ....

٦٥- براكسا ٢ .... ١٩٦٠ ....

٦٦- السلطان الحائر١٩٥٩ ١٩٦٠ ١٩٦١، ٦٩'

٦٧- يناطالع الشجرة .... ١٩٦٢ ....

٦٨- الطعام لكل فم ١٩٦٣ ١٩٦٤

٦٩- رحلة صيد ١٩٦٢-٦٣' ١٩٦٤ ....

٧٠- رحلة قطار ١٩٦٢-٦٣' ١٩٦٤ ....

٧١- شمس النهار .... ١٩٦٥ ١٩٦٤، ٦٦'

٧٢- الورطة ١٩٦٦ ....

٧٣- كل شيء في محله .... ١٩٦٦ ....

٧٤- بنك القلق ١٩٦٦ ١٩٨٠

٧٥- مصير صرصار ١٩٦٦ ....

٧٦- هارون الرشيد .... ١٩٦٩ ....

٧٧- مجلس العدل ١٩٧٠ ....

٧٨- الدنيا رواية هزلية ١٩٧١ ١٩٧٢

٧٩- راهب بين النساء ١٩٧٢ ....

٨٠- عودة الوعي ١٩٧٤ ....

٨١- الحمير ١٩٧٥ ....

فبالنسبة للمسرح فقد كانت أوّل أعمال الحكيم المسرحية هي التي تحمل عنوان *'الضيف الثقيل'* و يقوّل عنها في كتابه *' سجن العمر '* ما يلي :

> كانت أول تمثيلية لي في الحجم الكامل هي تلك التي سمّيتها "الضيف الثقيل"..... ..... أظنّ أنها كتبت في أواخر سنة ١٩١٩ م – لست أذكر علي وجه التحقيق . . . كل ما أذكر عنها. و قد فقدت منذ وقت طويل؛ هو أنها كانت من روح الإحتلال البريطاني ، وأنها كانت ترمز إلي إقامة ذلك الضيف الثقيل في بلادنا بدون دعوة منّا .

قد قسم الحكيم هو نفسه أعماله المسرحية إلي ثلاثة أنماط رئيسية : (١) المسرح الذهني و (٢) المسرحيات الإجتماعية و (٣) مسرح اللامعقول .

فلنذكر كلاً منها بشيء من التفصيل واحدة بعد واحدة في الصفحات القادمة .

****

الفصل الأوّل

المسرحيات الذهنية

المسرح الذهني في الأدب العربي نوع خاص أطلقه الأستاذ توفيق الحكيم علي بعض مسرحياته التي لا تصلح للتمثيل بل تصلح للقراءة فحسب . و الواقع أنّ هذه المسرحيات تعالج موضوعات ذهنية فلسفية فبالتمثيل لا يقبل علي مشاهدتها غير الخواص من المثقّفين . و يسمّى هذا النوع من المسرحيات "*مسرح الأفكار و العقل*" أيضاً .

و يقول المحققون في هذا المضمار إنّ الفنون المختلفه تختص بناحية واحدة من الزمان و المكان ؛ مثل الموسيقي و الشعر ، فانّهما فنّان زمانيّان فقط ، و أنّهما تتذوّقان في مراحل متتالية تبدأن مع أوّل اللحن و تنتهيان مع نهايته ؛ و اما النحت و التصوير فهما فنّان

مكانيّان لأننا نرى الصورة و التمثيل دفعة واحدة لأوّل مرّةٍ على الأقل ؛ بخلاف المسرحية فإنّها فن تجمع بين ناحيتي الزمان و المكان ؛ إنها تمثّل علي المسارح فنّاً و تقرأ في المخادع أدباً ؛ فعند التمثيل علي المسارح نحن نرى الحركة و نسمع الحوا الذي يجري بين الأشخاص و نتذوّقهما معاً ؛ هذا و أنّ للمسرحية وجوداً خارج المسارح إذ أنّها تتذوّق بالقراءة فقط كالفنون الأدبية الأخري . فالمسرحية هي فنّ الآذان و الأعين و الأذهان . فالمسرحية التي تقتصر علي القراءة فحسب و لا تصلح للتمثيل فهي نوع شاذ من المسرحيات ، بل إنها معرقلة و يعدّها النقاد نوعاً نذلاً ، و إنّ مسرحيات توفيق الحكيم الذهنية أيضاً تنتمي إلي هذا النوع الشاذ .[1]

و هذا النوع من المسرحيات توجد أيضاً في الآداب العالمية الأخري ، ففي الأدب

[1] د/ عبد الرزاق، *توفيق الحكيم و مسرحه الذهني*، ص ٩٦ .

الإنجليزي عبارة خاصة له و هي " Closet Drama"[2] أي "المسرح في مخدع " التي تشبه مسرحيات توفيق الحكيم الذهنية . هذا و لنا شواهد غير واحدة له و لأصوله في أعمال المسرحيين قديماً و حديثاً . فإنهم قد كتبوا مسرحيات يقصدون بها القراءة فقط ، حتي في عصر النهضة الاليزابيتية (Elizabethan Renaissance) . و في القرن السابع عشر ألّف جون ميلتان[3] John (Milton) مأساته الشعرية " Samson Agonistes" مقصراً علي القراءة . و قد فضل هذا النوع من المسرحيات الشعراء الرومانتيكيون الإنجليزيون و الفرنسيون أيضاً ؛ مثل بارون[4] (Byron) و شيلي[5] (Shelley) و

A '*Closet Drama*' is written in dramatic form, with dialogue, indicated settings, and stage directions, but is intended by the author to be read rather than to be performed. M.H.Abrams, *A Glossary of Literary Terms,pp79-80.*

[3] جون ملتون (١٦٠٨ – ١٦٧٤ م.) : هو شاعر إنكليزي، يُعتبر أعظم شعراء الإنكليز بعد شكسبير، أشهر آثاره ملحمة *'الفردوس المفقود'(Paradise Lost)* .

[4] هو غوردون بايرون (١٧٨٨ – ١٨٢٤ م.) : شاعر إنكليزي ،قاتل دفلعاً عن استقلال اليونان .

براونينج [6] (Browning) و توماس هاردي [7] (Thomas Hardy) و غيرهم . فالمسرحية الذهنية لم يبتكرها توفيق الحكيم بل أوردها كثير من الأدباء الغربيين قبله . كما يقول الدكتور محمد مندور بحثاً عن توفيق الحكيم:

> والمسرح الذهني فنّ لم يبتكره توفيق الحكيم ، بل هو إتّجاه عام ظهر في القرن الماضي في الآداب العالمية فيما يسمي بالدراما الحديثة التي أبتدها ابسن النرويجي . ثمّ أمعن في هذا الإتّجاه برنارد الأير لندي، و يعتبر مسرح سارتر [8](Sartre) هو الآخر من النوع الذهني ، . . . بل من الممكن أن نزعم أنّ المسرح الذهني بالمعني الذي يفهمه توفيق الحكيم قد عرفه اليونان انفسهم في الصراع بين الإنسان و القدر مثلاً . . . . [9]

---

[5] هو بيرس بيش شلي (١٧٩٢ – ١٨٢٢ م.): شاعر إنكليزي ، يعتبر أحد كبار الشعراء الرومانتيكيين الإنكليز . مات غرقاً .

[6] هو روبرت براننغ (١٨١٢ – ١٨٨٩ م.) : شاعر إنكليزي ، يتميّز شعره بالرقة و التعاطف مع البائسين .

[7] تزماس هاردي (١٨٤٠ – ١٩٢٨ م.) : روائى و شاعر إنكليزي ، يُعتبر أحد أبرز روائيى العصر الفيكتوري و شعرائه .

[8] هو جان بول سارتر (١٩٠٥ – ١٩٨٠ م.) ، روائي و كاتب مسرحي و فيلسوف فرنسي ، يعتبر زعيم المدرسة الوجودية الفرنسية .

[9] د/ محمد مندور : *مسرح توفيق الحكيم*، ص ٣٧ - ٣٨ .

و اتّجه توفيق الحكيم إلي كتابة المسرح الذهني من بعد عودته من فرنسا عام ١٩٢٨ م ، و أنّ الذي هداه إلي كتابة هذا النوع من المسرحيات هو التجارب التي اكتسبها والمعارف التي حصل عليها من عالم المسرح الأوربي أثناء إقامته هناك . فمثلاً انه يقارن مسرحه الذهني بمسرحيات الممثّل الفرنسي *Lugne: Poe* الذي كان مولعاً بالمسرح الذهني ، و أن علاقة الحكيم بهذا الفنان قد لعبت دوراً بالغاً في منح الحكيم قدرة لكتابة المسرحية للقراءة فقط كما هوَ استمدّ الأفكار من المسرحيين الأوربيين قديماً و حديثاً و أخرج مسرحياته الذهنية من قالب جديدٍ . و في مقدمة مسرحيته الذهنية *'بجماليون'* يصرّح الحكيم كل ذلك فقال :

منذ نحو عشرين عاماً كنت أكتب للمسرح بالمعني الحقيقي، . . . لقد كان الهدف وقتئذٍهو ما يسمّونه المفاجأة المّسرحية . . . و لكنّي اليوم أقيم مسرحي *داخل الذهن و أجعل الممثّلين أفكاراً تتحرّك في المطلق* من المعاني مِرتدية أثواب الرموز. . . إني حقيقة ما زلت محتفظا بروح الـ "Coup deTheatre" و لكنّ المفاجئات المسرحيه لم تعدِ في الحادثة بقدر ما هي في الفكرة . . .لقد تساءل البعض: أولا يمكن لهذه الأعمال أن تظهر كذالك علي المسرح الحقيقي ؟. . .أما أنا فأعترف بأنّي لم أفكرفي ذلك عند كتابة روايات *'أهل الكهف'* و *' شهرزاد '* ثمّ *'بجماليون'*.ولقد نشرتها جميعاً و لم ارض حتي أسمّيها *'مسرحيات'* . . . [10]

و الغرض للحكيم في كتابة المسرح الذهني هو أن يصرّح بالدقّة حين تحدّث عن أروع مسرحياته لذهنية *'أهل الكهف'* في

[10] د/ عبد الرزاق، *توفيق الحكيم و مسرحه الذهنى*، ص ١٠٢.

الرسائل التي أرسلها إلي صديقه الفرنسي Andre و نشرها فيما بعد فقال :

تسألني عن الرواية التي حدّثتك عنها في رسالتي السابقة أنها ليست عصرية ولا تأريخية و لا حتي قصّة تمثيلية حقيقية . . . . بل . . . . لست أدري ربما كانت عملاً فنّياً يقوم علي الحوار لا أكثر و لا أقل : حوار أدبي للقراءة وحْدها ، . . . كلاّ إنّ هدفي اليوم هو أن أجْعل للحوار قيمة عن كونه *Transposition Artistique* " تحرير فنّيّ " لسورة قرآنية ترتّل في المسجد يوم الجمعة .[11]

و في الواقع أنّ الحكيم قد استخدم في مسرحياته الذهنية تقنيات كتابة المسرحية و تقيد بكل قواعدها و انّه قد قدّم لنا بلا نزاع أدباً جيّداً للقراءة في صورة

[11] . د/ عبد الرزاق، *توفيق الحكيم و مسرحه الذهنى*، ص ١٠٧.

مسرحياته الذهنية ، و أبدع للفنّ المسرحيّ فكرة جديدة بهذا النوع .

و قد كتب توفيق الحكيم كثيراً من المسرحيات الذهنية ؛ مثل *'أهل الكهف'* (١٩٣٣) و *'شهرزاد'* (١٩٣٤) و *'محمّد'* (١٩٣٦) و *'براكسا'* أو *'مشكلة الحكم'* (١٩٣٩) و *'بجماليون'* (١٩٤٢) و *'إزيس'* (١٩٥٥) . و الآن نريد أن نسلّط الضّوء علي عدد من المسرحيات الذهنية هذه في الصفحات التالية :

١- أهل الكهف :

و هي مسرحية صدرت في أربعة فصول عام ١٩٣٣ م ، و تعتبر من أشهر مسرحيات الحكيم علي الإطلاق ، و قد لاقت نجاحاً كبيراً و طبعت هذه المسرحية مرّتين في عامها الأوّل كما ترجمت إلي

الفرنسية و الإيطالية و الإنجليزية . و الجدير بالذكر أنّ المسرح القوميّ قد افتتح بها نشاطه المسرحي في مصر ؛ و كان ذلك عام ١٩٣٥م ، و كان مخرجها الفنّان الكبير زكي طليلمات .

إنّ محور هذه المسرحية يدور حول الصراع بين الإنسان و الزمن . و هذا الصراع يتمثّل في ثلاثة من البشر يبعثون إلي الحياة بعد نوم يستغرق اكثر من ثلاثة قرون ليجدوا انفسهم من زمن غير الزمن الذي عاشوا فيه من قبل . و كانت لكل منهم علاقات و صلات إجتماعية تربطهم بالناس و الحياة ، تلك العلاقات و الصلات التي كان كلاً منهم يري فيها معني حياته و جوهرها

و عندما يستيقظون مرّة أخري يسعي كلّ منهم ليعيش و يجرّد هذه العلاقة الحياتية ، لكنّهم سرعان ما يدركون بأن هذه

العلاقات قد انقضت بمضي الزمن ؛ والأمر الذي يحملهم علي الإحساس بالوجود و الغربة في عالم جديد لم يعد عالمهم القديم ، و التالي يفرّون سريعاً إلي كهفهم مؤثرين موتهم علي حياتهم .

٢- براكسا أو مشكلة الحكم :

و هي من المسرحيات الذهنية الشهيرة التى نشرت عام ١٩٣٩ م ، و اعتمد فيها الحكيم علي الأساطير الإغريقية القديمة . و يظهر الحكيم من خلال هذه المسرحية رايه السياسي و يسخر من الإطار الإغريقي من المظاهر السياسي القائم في مصر و هو الديموقراطية التي لم تكن في تقدير الحكيم تحمل سوى عنوانها . أمّا الهدف السياسي الرئيسي للحكيم في هذه المسرحية فهو التعريض بفشل الأحزاب السياسية التي انحرفت

بالمبادئ الديموقراطية انحرافاً كبيراً ؛ و أمّا الهدف الثانوي بكتابة هذه المسرحية فهو تأكيد راي الحكيم المعروف عن المرأة و هو عدم صلاحيتها لشؤون الحكم و أمور السياسة .

٣- سليمان الحكيم :

و هي تعدّ من مسرحيات الحكيم الذهنية التي وضعها الكاتب عام ١٩٤٣م، واستمدّ موضوعها من قصّة سليمان الحكيم و الهدهد و بلقيس الملكة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، فمزج بها قصّة الجنّي و الضياد التي وردت في *'ألف ليلة و ليلة'* و أضاف إليها روح ثورة الشعرية يعرض فيها الكاتب ملك سليمان الحكيم و حبّه لبلقيس الملكة و تتوالي الأحداث كما يمليها

القضاء فتتعطّل إرادة الأشخاص حتي سليمان الحكيم نفسه

****

الفصل الثاني

المسرحيات الإجتماعية

لقد ابتدأ الأستاذ توفيق الحكيم في صدر حياته الأدبية ثلاثة اتّجاهاتٍ في التأليف المسرحي : الإتّجاه الأوّل نحو معالجة القضايا الوطنية العامّة و لو عن طريق الرمز كما فعل في مسرحيته الأولي *'الضيف الثقيل'* ؛ و الإتّجاه الثاني نحو المسرح الغنائ ، كما تمثل هذا الإتجاه في مسرحيته *' علي بابا '* . و أماّ الإتّجاه الثالث الذي ظلّ يتابعه بين فترة و أخري و كان هذا نحو المسرحية الإجتماعية الذي ابتدأه بمسرحيته *'المرأة الجديدة'* و كانت ذات الطبع الكوميدي . و قد عالج الحكيم في كل منها مشكلة بذاتها ، شغلتها منذ فجر حياته الأدبية ، و ظلّت تشغله علي نحو حاد ، و قد استمدّ بوجه عام في كتابة المسرحيات الإجتماعية ، و

بخاصّة في فترة عمله صحفيّاً بجريدة " أخبار اليوم " ، و لكنّه لم يقتصر علي المسرحيات الإجتماعية فحسب بل كتب أيضاً المسرحيات النفسية و الريفية و السياسية . و قد نشر له في أوّل الأمر مجلّدان بعنوان 'مسرحيات توفيق الحكيم

في عام ١٩٣٧ م بعد أن نشرت مسرحيات 'أهل الكهف' و غيرها ؛ و في أثنائه طبعت بعض مسرحيات المجتمع أو المسرحيات المنوّعة في كتب خاصّة . و لكن توفيق الحكيم قد أراح الدارسين و القرّاء بجمع كلّ مسرحياته في مجلّدين كبيرين صدر أحدهما باسم 'مسرح المجتمع' و الأخر باسم 'المسرح المنوّع' . و انّ معالجة هذا الفنّان الكبير توفيق الحكيم في قضايا الإجتماع المنوّعة المعاصرة في مصر في ضمن مجموعة " مسرح المجتمع " كان في أوحاء مختلفة . ففي سنة ١٩٥٠ م

نشرت مجموعته هذه التي تشمل إحدى و عشرين مسرحية أكثرها بفصل واحدٍ مثل "*أريد أن أقتل*" و غيرها ؛ و بعضها قصّة تمثيلية في منظرين مثل " *بين يوم و ليلة* " و غيرها ؛ و بعضها في أربعة فصول مثل " *اللص* " و غيرها . و أنّ هذه المسرحيات نشرت أوّلاً في " *أخبار اليوم* "[1] متواصلة فيما بين فترة من عام ١٩٤٥م إلي عام ١٩٥٠م و كانت مختلفة النوعية والكيفية تنمو من التقليد الإدراكي و الصحافي إلي الشعوري و حسن التجهيز من التعبير الدرامي في المظاهر المعاصرة لمجتمع مصر . هذا و أنّ في مجموعة "***المسرح المنوّع***" مسرحيات عالج بها الحكيم مشاكل المجتمع المختلفة المعاصرة مثل قضية المرأة علي الأغلب و نشرت هذه المجموعة في عام ١٩٥٦ م .

---

[1] هى جريدة شهيرة فى مصر آنذاك .

و لا جدال في أنّ أحداً لم يتدخّل مباشرة لتوجيه الكاتب إلي إختيار موضوعات بعينها ، غير أنّ قلّة الإقبال التي كانت من نصيب المسرحيات الفكرية ، علاوة علي إحساس توفيق الحكيم العام . و هذا بالرغم من أنّ طبيعة الفترة التي كتبت فيها المسرحيات كانت تفرض الإهتمام بالمجتمع و مشكلاته ، فقد كان العالم قد تخلّص لتوّه من حرب عالمية مدمرة ، و أخذت مشكلات الحرب تتراجع و تتقدّم عوضا عنها مشاكل اكثر عتواً و إلحاحاً و هي مشكلة السلام . و انعكس هذا علي المجتمع المصري ، فأخذت التناقضات فيه تبدو بوضوح : استعمار جاثم ، و عنف حكومي مزمن ، و فقر شامل و حرب في المنطقة و قلق في الشباب ، و تطوّر اجتماعيّ تكتنفه العقبات كل هذا تناوله توفيق الحكيم في " مسرح المجتمع " . و قد أرهف أذنيه و سدّد بصره و التقط الحوادث التقاطاً مما

يقرأ في الصحف أو يتناهي إليه خبره أو يحدث في البيت و الشارع و الديوان و وراء أبواب القصور السميكة . و كانت النتيجة بانوراما كاملة للحياة في القاهرة ، تلقي اكثر من ظلّ علي حياة مصر باكملها في تلك الفترة . و سوف يجئ البيان بالتفصيل و التحليل للمسرحيات من مجموعة "مسرح المجتمع"

الفصل الثالث

مسرح اللامعقول

إنّ بعض مسرحيات الحكيم تقع في نوع مسرح اللامعقول أي "Theatre of Absurd" . و يقول الحكيم في مجال مسرح اللامعقول :

> . . . إنّ اللامعقول عندي ليس هو ما يسمّى بالعبث في المذاهب الأوربية.... ولكنه استكشاف لما في فنّنا و تفكيرنا الشعبي من تلاحم المعقول . . . و لم يكن للتيارات الأوربية الحديثة إلا مجرد التشجيع علي إرتياد هذه المنابع فنّياً دون خشية من سيطرة التفكير المنطقي الكلاسيكي الذي كان يحكم الفنون العالمية في العصور المختلفة . . . فما إنْ وجدنا تيارات و مذاهب تتحرر اليوم من ذلك حتي شعرنا أننا أحق منهم بالبحث عن هذه التيارات في أنفسنا . . . لأنها عندنا أقدم و أعمق و أشدّ إتباطاً بشخصيتنا .[1]

و نحن نجد هذا النوع من المسرحيات في الآداب الأخري أيضاً ؛ فمنه مسرحية

---

[1] د/ عبد الرحمن باغى ، *فى جهود المسرحية* ، ص ١٨٥

كتبها الفريد *"Ubu roi"* *(Ubu the King)*

جاري بالفرنسية في عام ١٨٩٦م. و قد

صرّح بعض الكتب الإنجليزية هذا الأدب اللامعقول

كالتالي:

> The term is applied to a number of works in drama and prose fiction which have in common sense that the human condition is essentially absurd, and that this condition can be adequately represented only in works of literature that are themselves absurd. [2]

و لقد كتب الحكيم في هذا المجال

عدداً من المسرحيات و من أشهرها :

١- الطعام لكل فمٍ :

---

[2] M.H. Abrams: *A GLOSSARY OF LITERARY TERMS*, p.1.

هذه المسرحية نشرت أولاً في عام ١٩٦٣ م و مثّلت في عام ١٩٦٤ م ، و هي مزيجة من الواقعية و الرمزية . و يدعو الحكيم في هذه المسرحية إلي حلّ مشكلة الجوع في العالم عن طريق التفكير في مشروعات علمية خيالية لتوفير الطعام للجميع ، فهو ينظر إلي هذه القضية الخطيرة نظرته المثالية نفسها التي تعزل قضية الجوع عن القضية السياسية . فالحكيم لا يتطرّف هنا إلي علاقة الإستعمار و الإمبرالية و الإستغلال الطبقي بقضية الجوع و لا يخطر بباله أو أنّه يتناسى عمد أنّ القضاء علي الجوع لا يتمّ إلاّ بالقضاء علي الإمبرالية التي تنهب خيرات الشعوب نهباً ، و لا يتم ذلك إلاّ بالقضاء علي النظام الرأسمالي الإستغلالي و سيادة النظام الإشتراكي الذي يوفّر الطعام للكلّ عن طريق زيادة الإنتاج والتوزيع العادل .

٢- نهر الجنون :

و هي مسرحية كتبت في عام ١٩٣٥

م من فصل واحدٍ ، و تنضح فيها أيضاً رمزية الحكيم . و فيها يعيد الحكيم علينا ذكر أسطورة قديمة عن ملك شرب جميع رعاياه من نهر كان - كما رأى الملك في منامه - مصدراً لجنون الجميع الذين شربوا من مائه ، ثمّ يعزف هو و رفيقٌ له عن الشرب ، و تتطوّر الأحداث حتي ليصدّق رعاياهم فعلاً عن هذين الذين لم يشربا مثلهم - بما فيهما من إختلافٍ لهم - لا بدّ أنّهما المجنونان إذا و علي ذلك فإنّ عليهما أنْ يشربا أيضاً مثلما شربوا . و قد جرّد الحكيم مسرحيته من أيّ إشارة إلي الزمان و المكان ؛ و هكذا فإنّنا نستطيع انْ نشعر بصورة أكثر وضوحاً لإعتراض الحكيم ضدّ هذا القسر الذي

يزاوله المجتمع علي الإنسان فيجبره علي الإنسياق و التمايل .

هذا و للحكيم مسرحيات أخري بطابع اللامعقول ، مثل *'رحلة إلي الغد'* (١٩٥٧) و *'لو عرف الشباب'* (١٩٥٠) و غيرهما .

و يخرج الحكيم من هذا بأنّ الزمن لا يقهر ، و الخلود لا ينال ، لأنّهما أبعد من متناول أيدينا . و إلي جوار فكرة الزمن يشير الحكيم إلي النتائج الخطيرة التي يمكن أنْ تنجم عن البحث العلمي و التقدم فيه

الفصل الرابع

خصائص مسرح توفيق الحكيم

و الآن نودّ أن نجمل أهم مميزات مسرح توفيق الحكيم فيما يلي:

١) التنوع في الشكل المسرحي عند الحكيم. حيث نجد في مسرحياته: الدراما الحديثة، والكوميديا، والتراجيوكوميديا، والكوميديا الاجتماعية.

٢) جمع الحكيم بين المذاهب الأدبية المسرحية في كتاباته المسرحية. حيث نلمس عنده: المذهب الطبيعي والواقعي والرومانسي والرمزي.

٣) نتيجة لثقافة الحكيم الواسعة واطلاعه على الثقافات الأجنبية أثناء إقامته في فرنسا فقد استطاع أن يستفيد من هذه الثقافات على مختلف

أنواعها. فاستفاد من التراث الأسطوري لبعض هذه الثقافات، ورجع إلى الأدب العربي أيضاً لينهل من تراثه الضخم ويوظفه في مسرحياته.

٤) استطاع الحكيم في أسلوبه أن يتفادى المونولوج المحلي الذي كان سمة من سبقه. واستبدله بالحوار المشع والحبكة الواسعة.

٥) تميزت مسرحيات الحكيم بجمال التعبير، إضافة إلى حيوية موضوعاتها.

٦) تزخر مؤلفات الحكيم بالتناقض الأسلوبي. فهي تلفت النظر لاول وهلة بما فيها من واقعية التفصيلات وعمق الرمزية الفلسفية بروحها الفكهة وعمق شاعريتها... بنزعة حديثة مقترنة في كثير من الأحيان بنزعة كلاسيكية.

٧) مما يؤخذ على المسرحيات الذهنية عند الحكيم مسألة خلق الشخصيات. فالشخصيات في مسرحه الذهني لا تبدوا حيةً نابضةً منفعلة بالصراع متأثرةً به ومؤثرةً فيه.

٨) تظهر البيئة المصرية بوضوح في المسرحيات الاجتماعية ويبرز الحكيم فيها بقدرته البارعة في تصوير مشاكل المجتمع المصري التي عاصرتها مسرحياته الاجتماعية في ذلك الوقت. وأسلوب الحكيم في معالجته لهذه المشاكل دقيق و بارع جداً

٩) ظهرت المرأة في مسرح توفيق الحكيم على صورتين متناقضتين. كان في أولاهما معادياً لها، بينما كان في الأخرى مناصراً ومتعاطفاً معها.

١٠) يمكن لنا أيضاً أن نستنتج خاصية تميز مسرح الحكيم الذهني بصفة خاصة ومسرحه الاجتماعي ومسرحهُ المتصف بطابع اللامعقول بصفةٍ عامة وهي النظام الدقيق الذي اتبعه في اختياره لموضوعات مسرحياته وتفاصيلها، والبناء المحكم لهذه المسرحيات الذي توصل إلى أسراره بعد تمرس طويل بأشهر المسرحيات العالمية.

****